المكتبة الشعبية

رحلة العشرين عاماً

نصوص

أحمد جابر

رحلة العشرين عاماً

رحلة العشرين عامًا

نصوص

أحمد جابر

المكتبة الشعبية ناشرون

رحلة العشرين عامًا

أحمد جابر

1435 هـ - 2014

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

المكتبة الشعبية ناشرون

فلسطين نابلس شارع حطين

تلفون 092380468

صَف داخلي: يوسف خندقجي

فرز الألوان والطباعة:

مطبعة النصر /الحجاوي

نابلس فلسطين

تلفون 092311863

يمنع نسخ أو استعمال اي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية وميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر .

الفهرس

إهداء

إلى من علمني حروف اللغة و أبجدية الحياة

أستاذي الأول ..

جدّي

ارتقب طائر الحسون

في حزيران خلقت أحلامي ..

و ها هي الشمس الأخيرة تعد سريرها لنوم عميق ..

و تقول لي : سأعود بعد عام .. فانتظرني لأحقق ما تريد

جميلة الأفق لوّحت بشعاعها الأحمر من بعيد ..

و همست : ارتقب أختي غداً .. سأبعث بهدية لك ..

و نامت !

- " ألن تحنّ لي أيضاً ؟؟ "
  (بهذه الكلمات ألقى القمر تحيته المستعجلة)
- بلى وربّ الحب سأشتاق لك !
  ابق و لو ليلة أخرى و لا تكن مثل الشمس ..
- لن أستطيع يا صغيري .. فالسماء كتبتني أياماً معدودة .. و ها أنا ألفظ آخر أنفاسي .. و ما كانت الشمس لتتمرد على السماء و لا أنا

و لكن حاول أن تعيش لياليك حزيرانيّة .. و سأوصي النجوم أن تقصّ عليك بضع الحكايا فتؤنسك قليلاً

- تمرد قليلاً و أخبرني عن تلك الهدية !

صمت كثيراً كعادته ثم ردد جملة واحدة :

" ارتقب طائر الحسون في الصباح .. ستدلّك تغريداته إلى كوخنا الصغير – أنا و الشمس "

هو ليس لي

في هذي الدنيا كلنا سيلتقي بشخص لا تنساه الذاكرة ..

و العجيب أنه لن يكون لنا ..

ستعجب به .. ستكون به جميع المواصفات التي قد نقشها قلبك لعقلك ..

سيكون أنت في مكان آخر ..

ستعيش معه حياة مختلفة .. لن تقدر أن تقترب و لا أن تبتعد ..

هو مرة عشيقاً و مرة صديقاً و مرة أخرى غريباً ..

و تمضي الأيام ..

تتمنى أن تجد سبباً لتكرهه .. و لن تجد !

تخشى التعلق به .. و أنت فعلت حقاً ..

أحياناً ستظنه لك ..

لكنك ستقبض على روحك بتنهيدة صامتة و تقول : " هو ليس لي "

نصيبك في حياتك من حبيب

" لا تعاند قلبك فينقلب عليك يوماً ما ..

فليعش حراً كما يريد ..

اكسر أقفال الحسرة بمفتاح الأمل ..

فأنت لا تملك الحق بأن يموت و أنت على قيد الحياة "

هكذا قرأت على باب المدينة .. ثم دخلت ..

غريبة كانت .. كل نوافذها مغلقة .. ضوء المصابيح خافت .. الكثير من الظلال ..

الضباب يقبّل الساحات ..

الكل نيام و أنا وحدي هنا !

مرت الدقائق ثقيلة بعض الشيء ..

و إذ بهمس من ورائي ..

- ماذا تفعل هنا ؟

- أنا ! لا .. كنت .. ! أنت ! أنت أيتها الطفلة ما أخرجك في هذا الليل وحدك ؟
- أنا حارسة المدينة !!
- كفاك مزاحاً يا صغيرة .. أوَ تخبريني عن سر مدينتكم إن كنتِ حارستها ؟
- (بالكثير من الجدية) .. لا يسكن المدينة إلا من هو في عشرينات العمر

لا يخرجون منها أبداً .. مثقلون بالهموم ..

في المساء يغلقون على أنفسهم فلا تسمع إلا النحيب

و في الصباح ينامون .. حتى ما قبل غروب الشمس بقليل

فتراهم على سفح الجبل يراقبون احمرار البحر ..

- أي طقوس هذه تتبعونها ؟! لم أجد أغرب منكم قط !
- و لن ترى ! و في منتصف الأسبوع يلبسون الأسود ثم يجتمعون في هذه الساحة ..

و يشتمون (الحب)

لن ترى هنا إلا التعاسة .. لا يضحكون فيها أبداً

و الداخل لا يخرج .. تعجبه الكآبة التي خلقها لنفسه فيعيشها

- أو لن أخرج أنا أيضاً ؟ ؟
- ستخرج فقد دخلت من الباب الصحيح ..

- أهناك باب آخر ؟
- نعم .. مكتوب عليه .. " نصيبك في حياتك من حبيب .. نصيبك في منامك من خيال "

جدي لم يمت

على عتبة الباب في يافا .. سقطت دمعة الجد

هي الآن قطرة ندى على عرش وردة في القدس

تم تهجير الجد .. لكن لم يستطيعوا أن يرغموا روحه على الذهاب معه

بقيت ترفرف على حطام البيت

يوماً ما .. سيرى حفيده قطرة الندى

ستهديه لوحة مليئة بذكريات كانت قد رسمت على شاطئ البحر

ستقوده غيمة إلى ذاك البيت

متسلحاً بتلك الروح

سيرسم لوحة بحريّة مكتوب عليها "كذب من قال أن جدي مات "

حر أنت

حر أنت عندما تعيش كل يوم كأنه الأول لك في الدنيا

تكسر قيود غيرك لذاتك .. تنسى من حولك

تحيا لترضي نفسك فقط !

لا تأبه بصغائر كلام من يحيطونك ..

تملك سلاحي القلب و العقل .. بهما ستسلب عواطف الكل ..
ستأسر مكنوناتهم .. ستكون المحرك الأول لهم .. سيحاولون تقليدك

أنت سماؤهم و هم عصافير يطيرون إليك ..

فكن نسيماً حتى تسمع موسيقاهم و لا تكن عاصفة تلقي بهم بعيداً عنك ..

حدق كثيراً .. انتبه لما لا ينتبه إليه الناس .. تلك الثنايا المخفية ستقودك لتحكم الآخرين ..

كن بصيراً لا مبصراً ..

دقق طويلاً .. سترى عوالم لا يراها إلا أنت ..

ففي العيون خريطة مستقبل

انظر لهالة الشمس لا لبؤرتها .. هكذا سترى النور لا النار

أحسن الإصغاء للصامت قبل الناطق .. فمن لا يتكلم لا يكذب .

كل الأشياء حولك تحدثك بلغتها .. ما عليك سوى أن تغمض عينيك و تلقي بسمعك إليها

ستقص عليك أسراراً لم تكن بالحسبان

و عندها اعلم أن الطبيعة قد ضمّتك إلى صدرها

أنت طفلها المدلل .. و هكذا ستظل ترعاك ما دمت هادئاً معها .

فوضى الخريف

لأنه فصل الانتقال من اللهيب إلى الزمهرير ..

من ضياء آب إلى عتمة كانون ..

حقاً عليه أن يحمل في طياته عنوان (التردد)

ليس كونياً فحسب .. بل حتى مزاجات البشر تصاب بالصداع !

شحوب السماء .. رمادية الغيوم .. انحسار الشمس .. فقدان الحمائم لهديلها ..

أعتى أوراق الشجر ستعلن سقوطها .. ستهزم أمام الرياح الهوجاء .. و تفقد عرشها بين قريناتها ..

ليناديها أديم الأرض .. تعالي إلى حضني يا صغيرتي

تنكسر .. تستمر في رحلتها من السماء إلى الأرض .. تودع جيرانها الطيور .. تتأرجح بين نفحات الهواء المارة ..

هذه الثواني القليلة هي الأصعب ..

تحتضر و ترثي نفسها .. لا شيء يعيدها إلى ما كانت عليه ..

عرفت مصيرها .. فاستسلمت !

حتى إذا وصلت كان التراب قبرها .. فنامت طويلاً على تفرّشات الجذور .. فلا شيء يؤنس الطفل الحزين غير لمسة أمه

أما خريف الأرواح فهو أشد إيلاماً ..

العيون تدمع حتى العطش و الحناجر تصرخ حتى البكم

أيلول و تشرين لا يرحمان ..

لا يهتمان بنحيب القلوب و لا اضطراب الخواطر

ستشعر كثيراً أنك مفارق للحياة كتلك الورقة ..

تميل إلى وسادتك ليلاً .. تسائلها .. أتراني مصاحبك غداً ؟

تلقي بنظرة إلى سقف غرفتك .. تفكر فيما حصل و فيما سيأتي ..

رويداً رويداً .. تتسلل الدموع على وجنتيك ..

حتى إذا غلبك النعاس .. نزلت عليك سكينة الليل ..

لتهمس في أذنك :

" نم بهدوء .. لا تقتل أحلامك هنا .. كن قوياً أمام هذه الفوضى "

في الصباح .. سترى عصفوراً يجمع القش لبناء مأوى لصغاره ..

لا تعجب !

في الخريف ثمة ربيع يزهو ..

كن مطراً

كن مطراً

متواضعاً يترك السماء ..

ليروي عطش الحالمين ..

و هل أنقى من المطر !؟

صداقة

نيل صداقتها .. أسمى ما فكر به صاحبنا في تلك الليلة الخريفية .. فقد كانت فكرة (حب) مرفوضة في قلبه و ستبقى كذلك ..

أبت عيناه إلا أن تلقي التحية على شمس الصباح .. قابلته الجميلة الذهبية بابتسامة لم يفهمها .. فهو شاب غارق في أحلام سرعان ما تتناثر كالعادة ..

انطلق باحثاً عنها في شوارع المدينة .. و من دون سابق إنذار .. تعلقت روحه بتلك الشجرة الرهلة .. فقد كانت صديقته (الوهمية حتى اللحظة) تستظل تحت أفنانها الحانية ..

لفت انتباهه شدة احتضانها لشيء اعتاد على رؤيته كثيراً .. كتاباً سلب منها عقلها فتناست مكان تواجدها حتى المارين حذاها ..

اختلس نظرة و عاد مسرعاً إلى غرفته .. همس لنفسه : ليتني ذلك الكتاب .. ثم أطلق قهقهة ساخرة

توقف فجأة عن هزله .. ثم صرخ : السر في الكتاب ..

بحث عن صندوق قديم كان يحوي كتاباً هدية من جده ..

سخر مجدداً : لا أصدق أن لجدي تلك الفائدة ..

نفض الغبار عنه .. فظهرا على وجهه ملامح الاشمئزاز من رائحة و قدم تلك الصخرة (هكذا كان يهزأ بالكتب)

في اليوم التالي .. مر أمامها ممسكاً ذلك الغريب بالنسبة إليه .. و لكن

نظرت إليه مسرعة ثم لاحت بوجهها بعيداً ..

حاول طيلة ثلاثة أيام .. و النتيجة ابتسامة ساخرة أو نظرة مرمقة أو لا شيء !

و عاد سديم الليل يحوم حول مخيلته البريئة .. و الحزن أمسى المتسيد على جدران غرفته

أمسك رأسه نادباً حظه .. ثم قبض على خصيلات شعره يريد انتزاعها فهوت على ذلك الغريب الماكر .. من رسم أبهى لوحة بريشة الأحلام ثم سكب الكحل الأسود فأعمى جمالها ..

كأن يده قادته لأن ينقض على الكتاب و يفتحه للمرة الأولى ..

أبت عيناه إلا أن تلقي التحية على شمس الصباح .. لكن شتان بين هذه الليلة و تلك ..

الآن ينتقل من شاب راكض وراء أهوائه إلى حكيم يعي ما يقول و ما يفعل ..

دمعت عيناه .. فقد كان جده هو الحاضن بهديته لقلبه .. الوحيد المهتم بإنارة دربه ..

بدون حياء .. دخلت أشعة الجميلة الذهبية ..

التفت إليها ..

الآن فهم ابتسامتها القديمة ..

أسرع ليلتقي بتلك المجهولة .. ليروي لها قصته

ليشكرها على مفتاح امبراطورية جديدة .. عالم مليء بالعوالم ..

ليشكرها على إنقاذه من أخدود الأحلام إلى سماء الواقع ..

لم يكن يتخيل أن تودده لها سيمنحه هذه الحياة ..

نظر إلى الشجرة من بعيد .. عرف الآن أنها كانت تعيش من إيناس الكتب لها ..

و ما إن وصل إلى المكان المنشود ..

لم يجد تلك الصديقة !

بين نعم و لا

عندما يحتار العقل في الإجابة .. يكمن الحل في كون القلب قاضياً

هو من يشعر و ينبض بالحياة .. هو من يملك القرار الصائب

يرى الواقع المستقبلي من منظور صادق

فإذا استغرق العقل ساعات بالتفكير .. فالقلب سيحتاج هنيهة فقط

احتكم إليه لأنك لن تتحكم به .. و ما هو خارج عن إرادتنا سيكون مقدراً لأن يكون

و القدر لا يخطئ أبداً !

بين نعم و لا .. تتغير الحياة في الحياة

تتخذ منعطفاً مغايراً .. ستكون أمام طريقين

أحدهما مفروش بالورود و الآخر تكسوه الأشواك

عقلك بديهي سيختار الجمال بفطرته

و لكن لا تنس أن الكثير من الورود تحمل في أعناقها آلام الشوك

قبل أن تخطو أي خطوة إلى الأمام

شاور قلبك

سيبعث إليك برسالة

" انتظر حلول الفجر .. ستلمس روحك عنان السماء ..

من هناك سترى مخبأ الشمس في نهاية أحدهما "

و مهما كان المضمون اتبعه .. فالجواب أصبح إلهياً الآن !

همسة إلى حواء

أشفق على الأنثى عندما تعشق رجلاً عاشقاً لغيرها ..

أشفق على الأنثى لأنها لا تملك ذلك القانون الآدمي بأن تصارح حبها ..

أشفق على الأنثى عندما تغار فتكتم غضبها و تحوم في مخيّلتها آلاف الحكايا الوهمية ..

كل أنثى تتمنى حبيباً كأحد أبطال الروايات المشهورة ..

عذراً ! فالحب ليس أمنية ..

لا تغريكِ المظاهر الخداعة ..

فما يختبئ عظيم كفاية لطمس الزخرف الكذاب ..

لا تتركي الباب مفتوحاً على مصراعيه فينال منك هواء الهوى في كل حين و لا تحكمي إغلاقه فتدمرك زوبعة الغرام ..

و إن خدشت ذات مرة .. فلا تحزني

رحمة السماء كانت قريبة منك .. أنجتك من جرح عميق لا يبرأ ..

آخر العاشقين لم يغادر الحياة

الأرض تعج بهم و لكن عليك توخي الحذر

و من يؤمن بأن الحب مات .. فقد كفر !

و لأني لا أحكم جنس النساء فلن أقول لكنّ لا تعشقن ..

بل قبل أن تردن ينبوع الحب تأكدن أن قلب آدم خالٍ منكنّ

و كنّ الصفحة الأولى في حياته

فهو لن ينسى من زعزعت كيانه في الوهلة الأولى

و إن تظاهر بذلك فلا تصدقن ..

كتلك الشمس .. تبزغ فيظن أنه قد نسي حبيبه القمر

و بعد حين ..

تودعه الشمس .. و يبقى القمر ماكثاً في سمائه .

هروب

و الآن نهرب من الوقع إلى خيالاتنا المليئة بالحياة

نهارنا ليل .. لا فرق بينهما

لم نعد بحاجة إلى قمر و سرير لنحلم .. فالشمس توجعنا أيضاً

كأن حياتنا أصبحت أحلاماً فقط !

ما أجمل الأشواك في بستان الأحلام ..

ما أتعس الورود في صحراء الواقع !

سوف تكون

يهبنا الرب عشرات السنين لنحيا ..

خلال هذا المقدار تتولد الكثير من الأحلام التي تموت قبل أوان قطافها

و السبب أنت !

أنت من قتلتها بخنجر مخاوفك ثم اتهمت القدر بجريمتك ..

لقد جنيت على نفسك بيديك

سائل نفسك .. أتريد أن تكون حياً يذكره الناس بعد موته ؟ أم ترضى بأن تكون إنساناً عادياً يدفن نفسه في رصيف اللاحياة !

هؤلاء قبلك .. منهم ما زال الحاضرون يذكرونهم رغم فراقهم لآلاف السنين .. و منهم لم يبق أحد هنا يعلم بهم ..

عمرك ليس ذلك المكتوب في روحك .. بل يبدأ عندما يتفكر اثنان بمجيئك و ينتهي عندما يندثر آخر العارفين بك ..

فكن حريصاً أن يطول قدر المستطاع !

أثناء سيرك في طريق الحلم .. توقع دائماً أصعب العقبات قابعة أمامك .. كأنها خلقت لتكون ضدك وحدك

قد تعيدك خمسين خطوة للوراء .. و قد ترمي بك إلى حيث لا تحلم ..

انطلق مجدداً .. بسلاحي القلب و العقل يرضخ لك أقسى الأعداء و أمكرهم

أنت لست ضعيفاً .. اصعد جبلاً و خذ نفساً عميقاً و اصرخ :

أنا معجزة .. أنا استثناء ..

نعم أنت كذلك .. تجاوزت في ماضيك كل المستحيلات ..

كنت طفلاً .. حاول والداك أن يساعداك لتخطو .. مرة تلو الأخرى .. أنت حققت معجزة المشي

نطقك كان معجزة أخرى .. كسرت كل القيود .. و لكن ..

عندما كنت طفلاً فقط !

تذكر ذاتك الصغيرة المرحة الحالمة ..

قديماً تسلقت شجرة و لم تأبه بالسقوط .. استطعت لأنك أردت

أي فكرة أسطورية لم تكن تتوانى في تصييرها واقعاً

رغم المآزق المتشعبة .. لكنك كنت مؤمناً بنفسك فأبدعت !

الآن .. نار التحدي تخمدها بكل بساطة ..

تحاكي أوهام الدجى فتنسى طموحاتك مع الشروق ..

فقط تخيل أن أحد أمانيك قد أضحى واقعاً لغيرك ..

و ما دمت تخاف من خوفك .. سيتكرر المشهد ..

لأنك لست الوحيد هنا ..

لا تندم .. فما قمت به مجرد تخيّل

ابتسم و احلم و اسع .. فلكل مجتهد نصيب ..

حلمك بذرة .. ازرعه في وجدانك لينمو

حاضرك الآن ماضيك غداً .. احرص على أن يكون مستقبلك الآن حاضرك غداً ..

ارجع لماضيك قبل عام و استرجع أحلامك وقتها ..

اكتبها على ورقة .. لا تمعن النظر فيها و تقل أيّها استطعت تحقيقه و أيّها لا ..

بل اقسمها لنصفين ..

الأولى تلك السخافات التي تمنيتها و قد علمت حقائقها بعد عام ..

و الثانية تلك التي ما تزال مصمماً لتحقيقها ..

هذه الأحلام .. آمنت بها لمدة عام كامل .. أنك سوف تكون قادراً لتحويلها لواقع ..

قف بوجه العالم متحدياً و قل : حلمي يصير واقعاً أمامي

أمل (1)

قوس قزح يزيّن السماء بعد عاصفة

طفل يولد بعد عشر سنين من الانتظار

نرجسة تحيا على تراب قبر

ألا يكفي هذا لقليل من الأمل ؟

فنجان قهوة

ها هو فنجان قهوتي يتسيد طاولتي الخشبية

يأبى أن تمر لحظة دون امتزاج عبق رائحته بصفحات كتبي

ساءلته عن سر وجوده الدائم على ذلك العرش المتواضع ..

همس لي : أنا أعشقها !

في البداية .. حسبته مجنوناً .. و لكن سرعان ما كشفت تلك الأوراق عن غموضها

صديقتي تتمرد عليّ و ترفض تقليبها إلا بوجود حبيبها

تلتمس شيئاً من دفئه و تستنشق قليلاً من عطره

و أنا الهائم رضخت للواقع الغريب .. أحدهما يذكرني بالآخر ..

فلا هو بدونها و لا هي بدونه .

موكب الحياة

في موكب الحياة سرت مستقصياً آثار السائرين أمامي ..

أولئك الذين انحنى التاريخ إجلالاً لهم ..

أبوا إلا أن يسمع المشرق و المغرب صدى أرواحهم ..

لبسوا إكليل المجد فارتقت بهم الأرض ليعانقوا السماء ..

مضارعين شعشعة النجوم بكيانهم ..

رأيت في الشمس ارتعاشة زيتونة أمام نسيم ربيعي ..

كأنها وجلت قليلاً من رقيّهم ..

و لكنها عادت بابتسامة .. فهي على يقين أنها صعبة المنال و أبعد مما يصبون إليه

ثم تهب رياح الموت فتهصر الأغصان اليابسة ..

كذلك الفئة الكثيرة ممن حاولت إيجادهم ..

اختبؤوا في كهوف أفكارهم المظلمة ..

لم يأبهوا ببصيص الأمل في النهاية ..

عثراتهم بحجارة الخسارة جعلوا منها جداراً يغيّب عن أعينهم نور الشمس ..

فركنوا ينتظرون " اللاشيء "

هؤلاء الأحياء الأموات .. أقنعوا أنفسهم باستحالة تحقيق مرادهم ..

فضمهم أديم الأرض غاضباً ..

كاتباً نهاية إنسان لم يعش !

سيدتي

ما إن أخبرت أوراقي أن نسيميّة العينين هي التي سأحاكيها بكلماتي ..
حتى تسابقت الحروف إلى عرشها الصغير ..

كل يريد أن ينال شيئاً منك ..

كأنها كانت مأسورة بتعويذة .. و ها هي ذات العينين السوداوين تفكّها

قبلك .. كان الحب فكرة .. كلمة .. هباء ..

و كان السؤال .. متى سأحيا بالحب ؟

ظل السؤال عالقاً في حنجرتي تارة و مرفوضاً من عقلي تارة أخرى ..
حتى كدت أن أكفر بالحب .. أن لا وجود له !

بحثت في قاموس الأساطير عن وجوده ..

قيل إن الحب بديع الكون .. نقاء روحي .. زهرة نرجس ناصعة البياض ترتقي سفح جبل يكتسي وشاحاً ثلجياً .. تغازلها أشعة قمر فضيّة ..

و زادت حيرتي .. أين هذا المستحيل ؟

و في آخر صفحة من كتاب الأسطورة .. كتب :

"كل من يصل إلى هنا يُهدى جملة تدلّه .. أغمض عينيك و اسمع صدى قلبك سيخبرك "

و هكذا فعلت .. لم أحد إلا العتمة في عينيّ .. بصرت بنقطة مضيئة في المنتصف .. لمعانها كلمعان الحب في الأسطورة .. ثم جاء الصوت قادماً من بعيد :

" سأزورك فارتقب مجيئي بعد أن يتراقص النعناع تحت ضوء القمر "

تلاحقت الأيام و لياليها .. حتى التقت عيناي فيكِ ..

كل شيء يدل عليكِ .. أنتِ و فقط أنتِ

هذا اللقاء مؤجل منذ أن كتبت السماء اسمينا في قائمة العشاق ..

لم أعد أرى غيرك .. و في كل مرة لا أراك .. نلتقي ليلاً في حلم وردي

خشوع ينال من قلبي عندما أستمع لضحكاتك ..

الآن .. أعيش ما بين ذكرى و حلم !

أنت أميرة النساء ..

أنت شمس الأرض .. عروس تتمايل وحدها أمام ناظريّ

لن أنسى تلك الابتسامة السكريّة عندما رأيت سواد عينيك

غارت الورود من لون وجنتيك و ذبلت بسحر رموشك

و لو سمح لي لقلت عنك .. حورية عين من الجنة !

سيدتي ..

لا تقلقي .. فذلك المختبئ في يساري ..

كَلِفٌ بك وحدك .. متيّم باسمك

و بما أن البحر لا ينام ..

فيوماً ما ..

ستلثم أمواجه شواطئ مدينة الحب

و تسلب روحينا من صندوق المنايا فتزفّهما أميرا تلك المدينة

سيدتي ..

قبلك عشت بدون قلب .. و معك عشت بقلبك فقط ..

غداّ .. أحبك أكثر

غداّ .. سيأبى قلمي الكتابة إلا بعد أن يصلّي في محراب عينيك ..

سيدتي ..

سأفعل للعالم كل المستطاع و لك المستحيل فقط ..

لم أجد حلاوة للكتابة غير هذه المرة ..

و لن تحلو الكتابة إلا لك ..

سيدتي ..

وربّ الحب .. إني أحبك ..

مصافحة

أحياناً .. تصافح شخصاً سعيداً ..

و في داخلك بركان حزن ..

انظر كيف أن السعادة تصافحك .. و لن تنال منك ..

ليتها مرض لتنتقل إليك !

ثم انظر كيف أن الحزن يصافحه .. و لن ينال منه ..

فما أبعد هذا القرب !

كل يغني على ليلاه

نرجسة ترفع جبينها بكل كبرياء ..
تظن أنها سيدة الورود
في كل مساء تسائل مرآتها عن الأجمل
فتجد صورتها أمامها
و يا ليتها تعلم أن مرآتها كباقي المرايا
و ليست سحرية كتلك الخزعبلة القديمة

من الأرض نحو السماء
هناك نجد الشمس تتخذ من الغيوم عرشاً لها
و تحسب أن تلك النرجسة واقفة احتراماً لها
و أن الأخيرة ترجوها كي لا تذيب حرارتها جمالها

ثمة نسيم عابر
يداعب صديقتنا البيضاء
ينال شيئاً من عطرها النرجسي
حتى إذا حل المساء
عاد من ذات الطريق
فراقصها
فتورط في حب ليلى
فكان مجنونها المجنون

راعي الغنم في الجوار
يخال تراقص النرجسة تمايلاً لنغمات نا يه
هو الحامي لها
من محاولة مواشيه الاقتراب منها
ليستمر في إقناع ذاته في أنها تغازله!

و ما بين نرجسة و شمس و نسيم و ناي
يمسي الشتاء بجبروته
فلا باقٍ مما لم يكن .

مهنة الصمت

ما الصمت إلا كلمات ساكنة .. في هدوئها عاصفة تجتاح الكيان .. بين ثناياها غموض يطوي مئات الحكايا ..

يتلو كل لحظة صمت .. إما ابتسامة أو تنهيدة – و بين الأولى و الثانية .. إنسان يقبع في الذاكرة يغلق أبواب الكلام ..

في الصمت حياة .. تحدها في شرود العينين .. تاركة أسراب البشر أمامها .. تتخيل طيف غائب عنها

و عندما نفشل في إيجاد من يصغي لأسرار قلوبنا .. نلجأ لهذا الصديق

عندها .. كل جسدنا يصمت بلا حراك .. إلا قلوبنا .. تبعث برسالة إلى عقولنا لإجبارها على التفكير بشخص واحد ..

و هل تعصي الذاكرة أمراً من القلوب !

نصارح الآخرين فيغضبون ..

و لأنهم ساكنون في قلوبنا .. نختار الصمت رفيقاً لنا أمامهم ..

يسألون و نجاوبهم بالعفوية .. فيحزنون ..

و لأننا نكره عيوننا عندما نرى دموعهم .. نختار الصمت رفيقاً لنا أمامهم

و أحياناً بعد حوار طويل مع الصمت .. ينفجر صراخ يمزق الحناجر

تصحو الطيور من غفوتها .. تقشعر أوراق الشجر .. و بعدها نعود إلى ذلك الصمت مجدداً !

و لأن الكلام إذا قيل لا يعود .. فلنرتئي صمتاً الآن .. هكذا لن نخطئ..

في صمت الطفل .. براءة و ابتسامة رقيقة

في صمت الشاب .. طموح و حياة حالمة .. و حاضر يفكر بالمستقبل

في صمت الرجل .. هموم و حياة مرهقة .. و حاضر يفكر بالحاضر

في صمت الكهل .. ذكريات و حياة تافهة .. و حاضر يفكر بالماضي

في صمت الأنثى .. حنين و دمعتين

في صمت العاشقين .. سؤال و جوابين

الصمت أسمى اللغات .. به تكلم ذاتك الخفية .. تسمع أنّات الطبيعة حولك .. تتوقف عن رؤية الواقع .. تعود عقارب الساعة إلى الوراء .. لاصقة أوراق التقويم المنزوعة .. ثم تعيش مشهداً قديماً .. لا سبيل لنسيانه

أقول لمن يتاجر بالكلام .. كفاك ثرثرة و دعك من مغازلة الحروف .. و جرب لعبة الصمت خمس دقائق .. و بعد ساعة .. ستمتهن الصمت!

رحلة العشرين عاماً

قالها درويش : " يا أمي تجاوزت العشرين فدعي الهمّ و نامي "

يا أماه .. ضميني بين ذراعيك فقد تعبت من رحلتي و غداً تبدأ الرحلة الأصعب

اسمعيني عشرين نصيحة و أتبعيها بنصيحة عند الوداع

قبليني ثم نامي بهدوء !

لم أختر أن أكون هنا في هذه الدنيا

لم أختر بداية الحكاية و لا المدينة و لا أهلي

و فجأة لن أكون هنا

و لن أختار النهاية و لا المدينة أيضاً

و ما بين الشمس الأولى و الأخيرة

سأكون ما أريد أنا

سأختار أقماري و أيامي و ناسي

أنا هنا و هنا لا تتكرر .. هي مرة واحدة فقط !

و بين نصب عينيّ نصيحة نفسي لنفسي :

أكثر من (سَ) الحالمة و انس (لو) النادمة

و عش أينما و وقتما و كيفما شئت

هي حياتك أنت .. و عندما يسيّرك (هُم) لن تلقى إلا الـ (هَمّ)

منذ النظرة الأولى للحياة .. أيقنا أن الطريق مليء بالتحديات

في تلك اللحظة .. بكينا مراراً .. و لم تسعفنا الدموع للعودة إلى حيث اللاوجود

على السرير الآخر .. طفل لم يقوَ على مواجهة الواقع .. فنام للأبد قبل أن يصحو

سيعيش فرحاً في الحياة الأخرى .. و لكنه لم يدر أنه أورث حزناً قد يكون دائما لأهله

ذكياً كان .. نفض عباءة المشقة عن ظهره و ألبسها لغيره

ستمر الأيام .. و سيبقى هو في الجنة رغيداً .. و هم ستأتي اللحظة التي لا يذكرونه فيها

و لو كان بينهم سيهدونه قليلاً من أعبائهم

الآن ينادي من الأعلى : فليحمل كل منكم عبأه .. فقد خلق ليكون وسعه و لن يزيد .

كبر طفل آخر و شاء أن يعيش .. تناسى الدموع الأولى ..

فحضن أمه و لمسة أبيه كفيلان لطرح أشد الآلام وجعاً

بدأ تخطي العقبات حبواً .. كانت مثل أمواج البحر الهادئة على الساحل

هكذا خدعته الحياة بقبلة .. و أجلت الصفعة إلى الغد

كان يحلم بالكثير من الخيالات .. لكنه كان مؤمناً بتحقيقها

بدأت الأيام بالتكشير عن أنيابها .. بدأت بالبون على حقيقتها المؤلمة

أزالت قناع البساطة و الرغد .. و كشفت عن المدفون

ازداد عداد الأيام و انتقل إلى مرحلة البحث عن الأحلام

رسم بمخيلته الصغيرة الكثير من الشموس .. الأنهر .. الطبيعة الخلابة

اللون الأخضر كان بحوزته دائماً

لا أعيبه .. فالحياة سترت عيوبها و كشفت محاسنها

فرآها متصنعة للجمال

و لأنه لم يكشف عن أسرارها بعد .. فقد صدّقها

و في لحظة أصيبت الحياة بالقشعريرة

صديقنا الصغير رمى قلم الألوان الخشبي الأبيض جانباً !!

ثم تساءلت : هل حقاً علم أن الأبيض لا وجود له فيّ ؟

بعد قليل اطمأنت قليلاً .. عندما ترك مساحة فارغة في لوحته البيضاء

و قال : الغيم أبيض فلا داعي لألوّنه !

ثم ضحكت ضحكتها الخبيثة و همست :

لم تعلم يا صغيري أن الغيم سيصير أسود بعد شهرين

غابت الشمس و أطبق الظلام مصراعيه

ما حاضر في تلك الليلة إلا السواد !

أين القمر و رفيقاته ؟ هكذا تساءل !

أنّى اختفى الضياء هكذا ؟

و كيف اختبأ كل هذا الحزن خلف ابتسامة النهار ؟

نامت نسائم الربيع و اصفرت وريقات الشجر و اختفت كسوتها الخضراء

الغيم الأسود يثير الرعب في قلبه

أسود ؟!!! أين سمعت هذه الكلمة قبل الآن ؟

لم تسعفه الذاكرة .. فحيرته الآن مسحت الماضي

أغمض عينيه بقوة و فتحهما ليصحو من هذا الكابوس

لم يتغير شيء و ما تزال الدنيا كما كانت

في لحظة تبدل الحال من سعادة إلى بؤس .. من أمل إلى يأس .. من أبيض إلى أسود .. من حياة إلى موت !

بانت الدنيا على حقيقتها .. وجهها المشؤوم ذو التجاعيد المرعبة .. عيونها اللئيمة .. ضحكتها الساخرة .. ملابسها الرثة !

في الواقع لم تنعكس الآية في رمشة عين .. بل كان مغمضاً و الآن كشف الستار عن عينيه !

وجب عليه أن يتكيف معها ليعيش .. و لكن ليس كما يشاء هو بل كما تشاء الدنيا ..

هي من تقرر .. هي السيدة المطاعة .. و هو عبد رضي بالهوان لينال الكسرة

يبحث عن الموت ليستريح .. و نسي أنه ميت في الحياة

أقصى أحلامه أصبحت أن يعيش !

تخلى عنه القريب قبل البعيد .. و حيداً و أحزانه ! تسامره الدمعة تلو الدمعة .. حتى يغفو من التعب

ثم ما يلبث أن يستيقظ على صراخ ضائع ! و أحياناً يهيؤ إليه أصداء واهمة يرسمها لنفسه

حفر نفقاً في الظلمات و أشعل عود كبريت ليتدفأ به فأطفأه نسيم عابر!

توالت السنون و فصولها .. الشهور و أيامها .. تشابهت الساعات ..

فالليل شبيه النهار في العناء و النهار شبيه الليل في الوحشة !

و ما بين اللحظات الضائعة .. اختار أن يفكر قليلاً .. فتلقى ضربة اجتمعت فيها آلام الماضي جمعاء

لم يعد يطيق الاحتمال أكثر .. اختار مرة أخرى أن يفكر .. فكان الحال كسابقه !

صمم على التمرد .. فألم آخر لن يضر .. و لأول مرة قرر أن يشاء ..

بدأ رحلة البحث عن ذاته المفقودة .. عن ذاك الطفل الحالم بالخيالات

في طريقه نحو الماضي .. اتخذ مسلكاً جديداً

أهمل تعاسة المحيط به و جعل من عينيه نوراً يضيء به دربه ليذيب تلك الهموم المتراكمة

و في كل خطوة إلى الوراء .. يكتشف أنه كان أمام اختيارات كثيرة ضائعة

علم أيضاً أن ماضيه كان روتيناً من القرارات المصطنعة من غيره !

و بعد مسيرة ساعات حسبها أعواماً .. لم يجد مخبأه القديم !!

كان الليل يوشك أن ينتصف .. ثم دقت الساعة معلنة عن يوم جديد

و على غير عادته ألقى نظرة إلى تأريخ اليوم فأصابته رعشة غريبة !

أي صدفة تلك !!

في مثل هذا اليوم قبل عشرين عاماً .. كان قد أبصر الشمس لأول مرة

ذرف دموعاً من نوع مغاير .. كان فرحاً على عكس الدموع السابقة

صوت من روحه يناديه :

كن طفلاً و اختر حياتك من جديد

تجبّر و لا ترض بالكسرة .. و اصنع رغيفك بنفسك

كن سداً أمام تيار الدنيا لكيلا تجرفك في شلال الخضوع

كن قوياً كالسنديان و لا تقبل أن تكون عود كبريت .. و إن أجبرت أن تكون هكذا فاحرق بنارك من يجابهك

تملك من اليوم الثواني الكافية لتحيا الساعات

لا تنتظر هدية السعادة من أحد .. كن أنت بائعها بلا مقابل

اختر حياتك و لا بأس إن أخطأت ألف مرة .. فأنت في هذه الحال تعلمت ألف طريقة تبعدك عن الخطأ

كن أنت !

وحيدان

ليلة المنتصف في ديسمبر .. (وحيداً) كنت ..

أحزاني ارتقت للسماء ..

و هناك تذكرت أنيسها ..

وجه مضيء يشع في دموعي تلألؤها ..

صديق يسمع حكاياتي دون كلل

ابتسمت لبرهة ..

سافرت عيناي قاصدة ذلك (الوحيد)

حاولت العثور عليه بين أقوام الغيوم الغاضبة ..

و بعد ساعات ..

وجدت كوخه القمري ..

لم تستطيع طرق بابه فقد كان مكسوراً و قد نقش عليه ..

" قمرك أسير هذه الليلة "

و هكذا أمسينا (وحيدين) كما كنا ..

ننتظر بشوق ليلة سمر جديدة

الحب أعمى

غريبة أنت يا شمس !

كيف لطليق مثلك يسبح في عنان السماء

أن يغوص في الأفق ؟

كيف لعروس تميس وحدها في الأعالي

أن يستميلها لمعان ذهب زائف ؟

لم تعلمي أن خلف البحر

ضجيج صامت ينشر رداء ضبابياً

يُذهب دفأك زمهريراً

لم تعلمي أن ذلك اللمعان

هو انعكاس وجهك الذهبي على لوحة من سكون البحر

لم أجد إلا أن أردد : " الحب أعمى "

جبروت هذا الكائن الخفيّ

قد وارى أشواكه الدامية بورود أبهى من قوس قزح

فأعمى بصائر البشر و الحجر .

شياطين بلباس ملائكي

الكثير ينادي بطيبة قلبه .. متنكراً بقناع البراءة .. يتهم الآخرين بجرحه و أنهم آذوه بشتى مسميات العذاب النفسي المصطنع ..

هو المصيب و هم المخطئون .. يا للشفقة !

إذا كانوا هكذا جميعاً .. فمن الجارح يا ترى ؟ و من يرتكب كل هذه الجرائم الشاعرية ؟

و إذا حكم على الدنيا بالزوجية .. فحتماً هنالك الضدان .. فأين يختبئ الضد الأسود ؟

عذراً .. فالسكين ما زالت في يد القاتل .. يطرب بموسيقاه الناعسة فيستغل غفوة قلوبهم ليكمل مهمته في إخفاء سلاحه ..

أمثاله ليسوا بالمساكين .. فقط يتجملون بالبياض الكاذب .. و ما خفي أعظم !

كالظلال هم .. في الشمس تراهم بأم عينيك .. و عندما يجنح الليل يتكدسون بالظلام .. شياطين يخلعون لباس الملائكة ..

كلماتهم المهذبة النقية ليست إلا عواء ذئاب صامتة ..

لا تسأل ذلك المنطوي في عزلته لم التوحد ؟ فقد نال من خيبات الظن الكمّ الكافي ليكون هكذا ..

تلقي الصدمة تلو الأخرى .. سُكب الحبر الأسود على آخر أوراق قلبه البيضاء .. فلم يعد يثق بأحد ..

رغم ذلك .. ما زال مؤمناً ببصيص الخير المنبعث من آخر كهف الشر

على يقين بأن نوراً ينتظره من وراء العتمة ..

ليس كل من حولك إنسان .. تمعن بعمق .. قد تجد العكس تماماً

كن حذراً .. لا تثق كثيراً .. أكوام أسرارك الخاصة خبئها في قلبك .. لا تصدح بها .. هي ملكك فقط !

الكثير من الأصدقاء يضر .. فلا تكثر ..

كن متوازناً .. على قدر ما ترخ اشتد .. و ارجح الكفة قليلاً ..

لا تله نفسك بالسفهاء .. و لا تضيع الثواني بهم .. فعقارب الساعة ستلدغك في آخر المشوار على ما فاتك من زمان ..

في هذي الدنيا .. إن استطعت أن تنال في كل مرحلة منها صديقين و روحاً تسكنها و تسكنك .. ستعيش ملكاً لما بعد إغماض عينيك الأخير .

الحب المتسلل

أحياناً تجد الحب قد تسلل إليك

سيكبر فيك رويداً رويداً

ستعيش حالة من الفوضى

عشرات الأسئلة

و الجواب :

حيرة في العقل و شعور غريب في القلب !

تعجز الأبجدية جمعاء عن ترتيب الحروف لوصفه

الحب لا زمان له و لا مكان

يأتي على حين غرة

يخلع أقفال القلوب بكل عنف و يزلزل كبرياء من يريد

يقترب منك كل ليلة

ينتظر أن تدق ساعة القمر

معلنة أن حان الأوان لكسر الخوف

تناديك غيمة أن انفجر

و عندما يكون القرار الكبير

ستجد الدنيا قد تكاتفت لأجلك

و تواطأت كل القوانين لك

كأن كل شيء حولك يشد على قلبك

الآن أنت طفل صغير و الدنيا أم تحتضنك

و الطفل لا يهمّه توابع الكلام !

عش مغامرة الكلام قليلاً .. فلن تضرك الحروف إن نطقت بها

تكلم الآن .. أو ارتقب احتضار حبك بصمت

بين فرح و حزن

عندما نفرح نظن أنه لا نهاية لفرحنا

و عندما نحزن نظن أنه لا نهاية لحزننا كذلك

و بين لحظة كهذه و لحظة كتلك

فلنكن قنوعين ..

تكفينا بضع سعادة لنحلم ..

تكفينا بضع كآبة لنعيش الواقع !

لا تبحث عن الحب

لا تبحث عن الحب ..

هو آتيك شئت أم أبيت

كل ما هنالك أن بوصلة قلبك لم تشر إلى الاتجاه الصحيح بعد

ستستمر في التيه و التشتت

أحياناً ستقودك عيناك .. ستضلّ معها ..

و لأن بوصلة قلبك لم تتزحزح

ستعود أدراجك سريعاً

إلى أن تستيقظ عصفورة القدر

وقتها ..

سيقودك قلبك و لن تلتفت إلى أحد

سينحسر الضباب من أمام ناظريك

هناك ضوء ما ..

صوت من داخلك ينادي أن استمر

في بعض الأحيان لن تبصر شيئاً

و لكن للقلب أعين خفية تبصر

إلى أن تستقر تلك البوصلة

فتهمس لك .. أن هذا اللقاء لم يعد يطيق الانتظار

هذا القلب أمامك هو قِبْلتك ..

أمل (2)

تائه في صحراء الحياة ..

يميناً ألتفت ثم يساراً .. و لا أجد إلا رملاً عقيماً ..

يبعث برسائل الموت ..

اتخذت من العوسج وسادة .. و رميت بصري إلى أفق اللا حياة ..

أنّات قلبي صرخت .. مللت من غنى الحزن و فقر السعادة ..

ألم يحن الوقت للرحيل إلى العالم الآخر ؟

لحظات بلا نبض .. دقائق الساعة تمشي الهوينا ..

قطرة ماء باردة داعبت فمي ..

كفى عيناي ! لم أعطش إلا أملاً !

فاحتفظي بتلك الدموع فلن أحتاجها ..

حدّقت عيناي تستنكران أقوالي ..

فهما ذاويتان من لهيب الصحراء و لا ما في جعبتهما ..

فأنّى أتت تلك القطرة !

سارعت السماء بالإجابة .. مطر عرمرم ..

سمعت صوت الطبيعة ينادي ..

تمرد على نفسك يا بنيّ

لا تأبه بمن حولك ..

بل دع القمر طموحك و اجعل من النجوم أتراباً لك ..

خاطبني و لا تكن صامتاً كعادتك ..

ألق بوشاح الخوف بعيداً ..

استجمعت قواي و نطقت ..

يا أماه !

لم أصمت .. بل لا آذان لتسمعني ..

و بقلبي صبابة للفرح ..

و تأبى كلومي أن تبرأ ..

فساعديني على سلوان الماضي ..

توقف المطر .. فقالت :

" ابتسم .. المرؤ يحيا إن شاء هو و يموت إن أقنع نفسه باللاأمل "

ما وراء الكواليس

عندما أخفي أمراً .. تدور في مخيّلتك الغيرة الكثير من الاستفسارات

لم ؟ هل ؟ ما ؟ قد أخفي الجواب و قد أعلنه ..

أود دائماً أن أخبرك بكل شيء ..

إلا أوجاعي .. فهي زائلة مع مرور الوقت ..

لهذا لن أخبرك بها .. فالحزن لا يليق بك !

أتدرين ما الكواليس ؟

فيها يكون الشيء الأصعب لإظهار المشهد بأبهى صورة ..

و لقلوبنا بعض من الكواليس و لقلبي لا حصر لها ..

علماً هي بعض الشيء لتنالي مني البلسم !

تأخذين في قلبي دور البطولة .. تلعبينه بدقة متناهية .. لا تحتاجين لتواجد مخرج يقيّم ..

ترقصين على صدري كأنك على مسرح خشبي ..

تتمايلين بكل رشاقة ..

أنت لست هديتي من الحياة .. أنت الحياة أهديت لي

تنامين و يعمّ الهدوء أرجاء المكان ..

فها هم .. القمر و النجوم و الأشجار و العصافير و كل من حولك ..
يرتقبون الأميرة النائمة ..

و عندها أصحو أنا !

تنشب الحرب في كياني .. ما السبيل لإرضائها ؟

أترى هذا الأمر يزعجها ؟

أعتقد ذلك .. إذن .. فلنحذف هذا المشهد ..

ما ضير هذا ؟ قد يضايقها قليلاً ..

يصيح القلب من وراء الستارة .. " فلنكمل يدون هذا أيضاً "

و هكذا ..

ما يزال المد و الجزر فيّ

بين حرصي عليك و حريتك ..

بين الكواليس و المشهد !

سامر عجوزاً

سامر كبير السن

فمع كل تجعيدة تجد حكمة مخبأة .. تعلّمها

في كل ابتسامة تجد أملاً .. يدفعك لتنسى كل همومك

في كل تنهيدة تشعر بوجع الحياة

شاركه ضحكاته .. حكاياته .. تجاربه السالفة .. نصائحه الكثيرة

هو يرى فيك إنساناً حالماً بالمستقبل

يراك ماضيه الذي تركه من زمن غابر

سيقذف إليك بوابل من المخاوف لكيلا تنقاد إلى كهوف الخطأ

حتى إذا رأيت دمعة تتلألأ بعينه

انس كل ما حولك و أحسن الإصغاء

قبّله و ارتمي في حضنه

امسح على يديه و المس عروقه بحنان

فهو الآن يتذكر ماضياً أسود .. يشاهد شريطاً من آلامه

ارتقب شفتاه .. تعلّم الصمت في تلك اللحظة

فهو سينطق بأحد أسرار الحياة

في الحب حياة

في قطار الحب سافرت ..

الشمس تأبى البون من خلف الغيوم ..

تهمس : شمس ذاك القطار أقوى مني .. فلا وجود لي بوجود كل تلك الروعة !

من مقطورة لأخرى .. و من حجرة لمثيلتها تنقلت بحثاً عن قصص الحب الخفية

كبار و صغار مجموعون هنا ..الكثير من الهدوء ..

غريبة كانت حكاياتهم .. بديعة هي ..

كأنهم أساتذة حب ينطقون بجوهرة الحياة ..

حتى إذا مررت بذلك المقعد الوحيد في آخر القطار ..

امتزجت كل الحكايا لتكوّن مسك الختام ..

كهل و زوجته العجوز .. تمسك بيديه .. واضعة رأسها على كتفه ..

و ما بين بياض شعره و تجاعيد وجهها .. يكلّمك تاريخ لحظة عمرها خمسون عاماً !

ضعيف هو .. لكنه يملك قوة الحب الجبارة للذود عن معشوقته

يتيمة هي .. لكنها تملك زوجاً و أباً و أخاً في الوقت نفسه ..

تلك الابتسامة المرسومة عليهما ..

فيها وجع الماضي المهزوم أمام جبروت الحب بينهما

تعطيك إثباتاً لمقولة " في الحب حياة "

قلبان

عاشقان في زمن اللاعشق ..

صامتان .. و عيونهما لا تكفّ عن النبض عند التقائهما ..

يبتعدان ..

فتأبى الصدفة إلا أن تجمع بينهما في النهار ..

و ليلاً .. يلتقيان في حلمورديّ ..

ينتظران ..

و كلاهما صادق بحبه ..

تجيء عصفورة الزمن ..

و تقول لجارتها ..

كم هو بريء ذلك الحب بينهما ..

فلنؤخر لحظة انكسار صمتهما ..

و نسامر دقائق الساعة .. لتنسى مهمّتها ..

و نرقب هذين الصغيرين ..

كيف سيتمردان على الزمن !

لا تحلم كثيراً

في خضم معارك الحياة تتواجه الأحلام مع الواقع ..

نعيش داخل عالم محدود كالبالون .. نرى الجمال في الخارج و لا نملك الوسيلة لأن ننفجر ..

نعلّق آمالنا على سحابة المستقبل .. و لا ندري أتمطر السماء أم تفاجئنا بالصواعق !

لعل خيبات الماضي قد تركت في نفوسنا آثاراً لا تمحى .. جعلت عقولنا تتبنّى فكرة اللون الأسود

ثم ما نلبث أن نعود إلى بعض الأمل المنشود في الغد ..

لم نعد نخاف الليل لظلمته .. بل لما يخفيه عندما يودّعنا ..

ثم نرجو قدومه بعد صدمات النهار ..

علّ وحدتنا فيه تقرب أحلامنا من واقعنا قليلاً ..

فنحن لا نملك من عمرنا إلا ذكريات الماضي بحلوها و مرها ..

و واقع اليوم و أحلاماً زمرديّة ممزوجة بقليل من الوجس يهمس في داخل كل منا :

" لا تحلم كثيراً .. لكيلا يؤلمك الضباب وراء السراب "

الحب بديع الكون

كان الحب بديع الكون .. نقاء روحيّ

كزهرة نرجس ناصعة البياض ترتقي سفح جبل يكتسي وشاحاً ثلجياً

تغازلها أشعة القمر الفضية

إلى أن أمسى أبناء آدم – من أعميت ضمائر قلوبهم و أسكرتهم ملذات الحياة – يتغنون بأعذب الأنغام الممزوجة بالكلمات المعسولة بالكذب و خلف ابتساماتهم المصطنعة .. تموت تلك الحلاوة و تنقلب علقماً في مكنوناتهم السوداء ..

فأصبحت حواء فرائسهم بعد أن كانت في قديم الزمان تيجانهم

و لم تستفق من سباتها إلا بعد أن وجدت نفسها عصفورة مكسورة الجناح .. تتأوه من لوعة الفراق .. ساكبة دموع الندم على وجنتيها

و في ظل ضحكات آدم و بكاء حواء ..

تغضب الطبيعة و ترسل جنودها

فتنال من تلك الزهرة و تقذفها بعيداً عن عرشها الأبيض

و يخلد القمر في نوم سرمديّ

هؤلاء الصغار من ركضوا وراء أهوائهم

عبثوا برائع الحياة " الحب " .. فصيّروه لعبة بين أياديهم

أما بعض آدم الآخر .. من مجّد هذا الناموس

فارتأى أن تظل تلك الكلمة ساكنة في أسرارهم

حتى تنبت بذور تلك الزهرة من جديد .

حاجز الصمت

قرر أن يكسر حاجز الصمت و يطلق العنان لكلماته الحبيسة ..

اقترب من قلمه و يداه ترتجفان ..

تساءل القلم : أكلمات الحب مخيفة هكذا ؟

مسكين أيها القلم !! لا تدري ما بال هذا الحبيب !

حاول قلبه التمرد .. فهو الوحيد العالم بما في رأس صاحبنا .. لم يستطع

و في هفوة منه .. خطت أنامله الصغيرة مرغمة تلك الكلمات و دموع تنزف على وجنتيه

نعم أيها السادة .. كانت كلمات من حروف الفراق !

لم يتوقع في يوم أن يكتب مثل هذا الكلام .. أنتهى عشقه قبل أن يبدأ ؟

أرسلها .. أهي النهاية ؟ بالتأكيد لا .. الآن بدأت الحكاية !

بدأ الندم يسري في عروقه ..

لماذا فعلت هذا ؟ و كيف ؟

تلعثمت الأسئلة في مخيلته ..

" لقد خانني قلبي " .. هكذا قال !

استنكر قلبه و لكن ما في اليد حيلة !

صبراً ! ماذا حل بالمعشوقة المسكينة ؟

انتظرت رسالته بفارغ الصبر .. ظنت في لحظة أنها ملكت الدنيا و ما فيها و أنها أسعد امرأة في الكون

تحطمت تلك الآمال .. و تبعثرت أحلامها الوردية

هو .. لا يدري بأنها مشتاقة

هي لا تدري بأنه نادم

يريدها و تريده و كل منهما يكابر

و بعد أيام .. يلتقي العاشقان الصغيران

ثمة أمتار بينهما تتناقص بسرعة هائلة

عيونهما تتوقف عن النبض

تلتمسان شيئاً من الحب المكسور

أؤكد أن شعورهما في تلك اللحظة لن يتكرر أبداً

فالحب مرة في الحياة و الباقيات نسخ زائفات !

لم يحدث جديد .. العاشق الصامت لم يستطع كسر حاجز الخوف

و هي أنثى شرقية لن ترضى بأن تبدأ بالكلام ..

نعم يكابران ..

و ينتظر الحبيبان مرة أخرى

عسى أن تجمع عصفورة القدر بينهما على جناح الصدفة

فهل سيرضى القدر بأن يبوح بتلك الكلمة السحرية

كن فيكون !

بائع مفلس

لم أر تجارة أسهل من بيع الأحلام و لو كانت مستحيلة

مجانية هي .. كلنا بارعون فيها ..

و الغريب أنه عندما يسائل الواحد فينا نفسه حلماً ..

نعلن إفلاسنا !

أحبك

أحبك ليست كلمة على الإطلاق !
هي أبعد من ذلك بكثير ..
فيها تجاورت الحروف فكوّنت معنى أسطورياً !!
منذ آدم الأول و حتى نهاية الحياة .. ستبقى الكلمة المفصلية في عمر الإنسان
الكلمة التي تحجز حياتين في شخص واحد و تربط شخصين في حياة واحدة

هي العظمة بذاتها تولدت فسطّرت القمر في سماء اللغة
قبل أن تنطق بها ستختنق مراراً و تكراراً ..
تبحث عن فرصة هنا و هناك ..
تقترب من نصفك الآخر تريد أن تضمه إليك بكلمة أحبك !
تفشل ثم تفشل !
قلبك ينبض بها في سكونك ..
و ما بين دقة و دقة .. يعزف أغنية الحب ..
تخرج الكلمة من الباب الواسع في قلبك ..
تتسلق شرايين دمك .. ثم تنقبض في حنجرتك ..
تحاول النطق بها .. و لكن شيئاً يمنعك !

ينظر إليك النصف الآخر و يقول لك: ما سر اللمعة في عينيك ؟
ستبتسم رغم السكاكين الجارحة في صدرك ..
و تجيب : أنا .. أنا .. لا شيء .. هي كذلك لأنها تراك !
تعود إلى نفسك وتسائلها ..
ما بال كل الكلمات أنطق بها بكل بساطة !
و ما السر في ترابط هذه الحروف
وفي ليلك .. وحيداً مع وسادتك و جدران تحيط بك ..
تفتش في مكنونك عن ذاك الاضطراب الذي ينتابك ..
ثم تصيح و تشد من أزرك بأن غداً سوف أقولها
يأتي الغد و بعده و تتوالى الأيام .. و النتيجة واحدة ..
كل الكلمات تنطقها إلا أحبك ..
عجيبة .. تجاوزت كل الحواجز و فشلت في تحريك شفتيك !
ما السر إذن ؟

كلمة أحبك هي بحد ذاتها معجزة ..
معجزة فقط إذا كانت تخرج من قلب دافئ صافٍ ..
تنساب بكل سلاسة في داخلك ..
و تخرّ مستسلمة عند الرمق الأخير !
نقاء الكلمة حكمت على اللسان الكذاب أن يصمت ..
فلم تسمح له أن يتدخل في صنع الأسطورة .. فبقي ساكناً لا يتحرك

السر أن " احبك " ليست في قاموس الكلمات ..
أحبك .. ليست كلمة ..
أحبك هي القرار النهائي لبداية الحكاية !

أسماء

خلف الأسماء حكايات وجع ..

فذلك تركته معشوقته .. فكنت يا ابنةً حاملة لاسمها ..

كلما جنّ الليل ناداك ..

لا يريد شيئاً منك و لا سماع صوت خطاك ..

كل ما في الأمر ..

أن القلب ينزف شوقاً !

صورة

مع قهوتي المسائية المعتادة ..

و أربع جدران تحيط بي ..

أحدها يبكيك ..

ساعة الحائط تخفق بانتظام ..

كأني أسمع تكّاتها للمرة الأولى

لا شيء يشغل تفكيري إلا صورتين لكِ ..

و كل ما يحوم في مخيّلتي ..

أنه إذا نزعت تلك الصورة من على ذاك الجدار ..

فلن تنزع الأخرى من ألبوم ذاكرتي ..

حوار مع ليلى

- أعجبت بك فأحببتك ثم عشقتك .. و هكذا وصلنا إلى أعلى مراتب الهوى يا سيدي ..
- و لكن لم نصل إلى العظمة المطلقة !
- أهناك ما هو أسمى من العشق ؟
- أجل .. " التوحد "
أن نكون روحاً واحدة .. تشعرين بي قبل أن أتألم و تفهمين المختبئ في نفسي قبل أن أتكلم

- أحبك
- أنا أحبك أكثر
- لا أنا أحبك أكثر
- إذن فلتسمحي لي يا حلوتي أن أؤكد لك بأني أحبك أكثر
- و كيف هذا ؟
- أحبك الحب الخالد في الدنيا ..
- و ما هو ؟
- حب الإله لعبده .. ذلك الحب الذي يغفر الخطايا الكبيرة قبل الصغيرة بمجرد أن تعودين إليه

- تخنقني بهذا المسمى " غيرة " ..
- لا أستطيع إلا أن أغار .. سيء المزاج أنا .. و غيرتي تشبه غضب طفل سرقت منه قطعة الحلوى المفضلة قسراً
- ألا ترى أن غيرتك زائدة عن حدها ؟
- أوَ لا ترين أن جمالك زائد عن حده للدرجة التي أبيح لنفسي أن أغار هكذا ..

نصوص

- ❖ إن عشقت الأنثى .. يعني أن فارسها و السعادة صديقان للأبد

- ❖ ما أتعس من يلحق وراء وهم أنثى و يترك قلباً به يتنفس

- ❖ قد تكون المجهولة أنت أيتها القريبة جداً و لكن لن أستعجل القدر

- ❖ الأمل هو العدو الأول للمستحيل و أنت تحدد الفائز بينهما

- ❖ للقلب أعين خفية أيضاً

- ❖ ألف ابتسامة توقفها دمعة

- ❖ أشعلت الشموع و رتبت الطاولة لكرسيين و جلست أنتظر

- لا طبيب للهوى .. أنتم أطباء أنفسكم و كل الحلول تكمن ما بين نبضة و كلمة

- معك لم أحيا الحب واقعاً بل صمتاً فكنت وهماً

- أنت تصنع ابتسامتك و غيرك يخلق دمعتك

- الحب مزاجي هو .. قليل الحياء .. أسوأ ما فيه .. أنه يأتي في غير موعده

- مقدار أعمارنا بعدد أحلامنا و كلما تحقق أحدها نكبر حلماً جديداً

- لم نولد لنكون على مقعد الاحتياط في حياة الآخرين .. وقتما تشعر بذلك مع أحدهم .. انسحب بهدوء .. فلن يفيدك البقاء و لن يضره أن تتركه

- أعشق العيون لأنها ليست مزاجية .. فتلك النظرات لن تتغير مهما اختلف سكان القلوب

❖ فلسطين لن تنتهي حتى نموت جميعاً و الرب ما زال يخبئ الفلسطيني الأخير بعيداً عن أعين الموت

❖ شرعية أحلامنا تبدأ عندما تتحقق الأمنية المحفورة على جدران السجن و تلك الأخرى المنقوشة على قماش الخيمة الممزقة

❖ لا صدفة في حياتنا .. هي أرواحنا تلتقي ليلاً في سهرة مع القمر لتتواعد نهاراً .. محددة مكان اللقاء الغريب

❖ لا تسألوا أين مدينة الغياب .. فأنتم فيها و أنا أيضاً .. هي الأحزان تراكمت فأضعنا خريطة اللقاء

استمتعت كثيراً وأنا أقرأ نصوص وخواطر «رحلة العشرين عاماً» للأديب الشاب أحمد جابر وهو يمسك بريشة قلمه مصوّراً فلسفته ورؤياه في الحياة الي نحياها..

يذهلك وهو يكتب عن حريته التي تأبى الانكسار والخنوع إلا لخالقه.. فأحب الطبيعة والحياة والوجود والناس..

ستدخل في هذه النصوص عالماً من السموّ والأنس والانفراد.. ستتعرف على متميّز امتهن الصمت في حياته وسكن الخلوة.. ففاضت مشاعره ينابيع الحكمة والشجاعة والريادة..

عشق الروح والمشاعر والأنفاس الطاهرة البريئة..

ستفرحك هذه الكتابات والمقطوعات الجريئة للأديب المبدع.. كما أفرحتني وأسعدتني.. وأثبتت لي أن هذا الجيل هو جيل الابداع والقوة والانتصار..

د. جبر البيتاوي

تصميم:
محمد مرشد

